تأثير العولمة الثقافية على استدامة التنمية
(اغتراب أم ممانعة؟، تو افق أم صدام؟)

The impact of cultural globalization on the sustainability of development
(alienation or reluctance? consensus or clash?)

فضلون شاشوة[1]، هني طه[2]

FADLOUN Chachoua [1], HENNI Taha [2]

[1] أستاذ محاضر قسم ب، جامعة مستغانم

fadloun.chachoua@univ-mosta.dz

[2] طالب دكتوراه، جامعة مستغانم

taha.henni@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2022/07/12 تاريخ القبول: 2022/10/14 تاريخ النشر: 2022/10/14

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية، إحدى القضايا الرئيسية المرتبطة بتنامي ظاهرة العولمة الثقافية، وتداعياتها على استدامة التنمية الاقتصادية، وهذا من خلال التركيز على تحليل مفهوم العولمة الثقافية، لكشف ايجابياتها وسلبياتها، على واقع المجتمعات المحلية، خاصة في البعد الايكولوجي للتنمية المستدامة.

وخلص هذا البحث إلى عدة نتائج أهمها: ما ارتبط بالهوية الثقافية للمجتمعات وسبل حمايتها، بما يضمن عدم **اغتراب** قيمها الأساسية، كما كشف أيضا، خطورة توغل الرأسمالية المتوحشة، نتيجة التوسع الكبير للاستثمارات الأجنبية، ذات النزعة الإيديولوجية، ومن جهة أخرى، كان للتطور التكنولوجي، الأثر الكبير في عبور الثقافات المتعددة الى كافة أنحاء العالم، مما شكل تهديدا كبيرا على طمس الهويات المحلية، التي جعلت من المجتمعات أقل **ممانعة** ومواجهة للتحديات المستقبلية.

إن المواجهة الحقيقية للعولمة الثقافية، لبناء **التو افق** القوي في كل المجالات، خاصة مجال حماية البيئة واستدامة مواردها، لا يتحقق إلا ببناء نموذج تعليمي مبني على المعرفة وتكنولوجيا الرقمنة، مع جعل الأخلاقيات في محوره، وهذا لضمان عدم **التصادم** بين الأجيال الحالية والمستقبلية.

المؤلف المرسل: فضلون شاشوة، **الإيميل:** fadloun.chachoua@univ-mosta.dz

كلمات مفتاحية: العولمة الثقافية؛ الاستدامة؛ الهوية الثقافية؛ الايدولوجيا؛ الأجيال المستقبلية.
تصنيفات JEL: A14, M14, F29 .

Abstract:

This paper addressed one oft he key related issues associated withe the growing phenomenon of cultural globalisation, and ist impact on the sustainability of development, by focusing on the analysis of the of cultural globalisation,to expose thier neggative and positive to local communities, Especially in the ecological dimension of sustainable development.

This resaarch has produced several results, the most important of which are related to cultural identity and how to protect it, and to ensure that their core values are not alienated, it alsorevealed the expansion of ideologically oriented foreigen investments, and technology has affected intercultural interference posing a threat to localidentities.

The real confrontation with cultural globalisation, is throutgh aknowledge based and digized education system, that considers the importance of morality, to ensure that present and future generations do not clash.

Keywords: cultural globalization, sustainability, cultural identity, ideology, future generations

JEL Classification Codes : A14, M14 ,F29

1.المقدمة:

كان لمفهوم القرية الصغيرة(الكونية)، الذي صاغه العالم الكندي(مارشال ماك لوهان) من جامعة تورينتو في ستينيات القرن الماضي، أحد الأسباب الرئيسية لظهور مفهوم العولمة **(globalisation)**، ونظرا لتعقد هذا المفهوم، وتأثيره المتداخل مع عدة مجالات حياتية، ومستويات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، اجتهدت الدول الكبرى التي تقود العالم،لإعادة صياغة محتواها وفق نزعتها الإيديولوجية، وأهدافها الجلية والخفية، لأجل فرض الهيمنة والسيطرة على الشعوب، ولنهب مقدراتها وطمس معالم قيمها، و دفن بذور تاريخها،

ليسهل بذلك التأثير عليها بما يخدم مصالح شعوبها. وساهمت في ذلك بشكل مباشر العولمة الثقافية، في ظل التطور التكنولوجي في مجال المعلومات والاتصال، ولقد حرصت هذه الدول على استغلال البعد الثقافي لغزو الشعوب ثقافيا واقتصاديا، وبذلك تعزز مفهوم العولمة الثقافية وشكل نسيجا متناغما مع طموحاتها التوسعية في المستقبل.

وعلى الرغم من حداثة مفهوم الثقافة وتعدد معانيها، وكثرة المناقشات حولها، إلا أنها لا تخرج عن دائرة المعارف الإنسانية، التي تساعد على استقامة السلوك والأخلاق، وتتعدى هذا المعنى الى الإبداع الفكري، وتؤثر على روافد المجتمع، ومكونات قيمه، عند بناء النموذج الثقافي المستقل.

وبالرجوع الى مفهوم الاستدامة، من وجهة نظر علماء اقتصاد البيئة، نجدها تدل على محاولة إقامة التوازنات البيئية والاقتصادية والثقافية، مع ضمان حق الأجيال القادمة في نصيبها من الرفاهية وجودة الحياة،ومما لا شك فيه أن هناك تداخل معقد بين الاستدامة كمفهوم شامل والثقافة كمفهوم متعدد والعولمة كمفهوم متحرك، أما **العولمة الثقافية** فهي نتاج عن حركية العولمة ضمن السياق الثقافي للمجتمعات، حيث ساهمت في ظهور أنماط جديدة من أساليب التفكير في حل ومواجهة المشكلات، بدعوى الإبداع والموهبة والخروج عن المألوف، مما ساهم من جهة في رفع مستوى المعيشة وتطوير المعرفة الإنسانية، ومن جهة أخرى في **التقويض من مظاهر الاستدامة**، مما رفع من مستويات الفقر والبطالة والآفات الاجتماعية، وصاحب ذلك المزيد من الضغط على الموارد البيئية واستنزاف مخزونها وتلوثها بشكل كبير.

1.1 إشكالية البحث:

ليس من السهل ربط المفاهيم ذات الطبيعة المرنة(العولمة، الثقافة، الاستدامة)، والتي يمكن تفسيرها فلسفيا أكثر منه واقعيا، وصهرها في مفهوم واحد، وعليه لا يمكن إنكار التأثير المباشر للعولمة الثقافية على موضوع الاستدامة، ورغم كثرة المناقشات الفلسفية حول هذا الارتباط، إلا أنه سوف نحاول الكشف عن نقاط التوافق والاختلاف، حول الأسباب الرئيسية التي تعيق استدامة التنمية، ومما لا شك فيه أن العولمة الثقافية ومن خلال غزوها للمجتمعات المحلية، أحدثت جزءا رهيبا من الفوضى في القيم السائدة، مما كان سببا في ميلاد قيم حديثة، أثرت في جمالية السلوك الإنساني، وكرست مزيدا من التخلف والتلوث والتبعية والاغتراب على حد سواء.

ومن خلال هذا الطرح الفلسفي المبسط، يمكن أن نطرح تساؤلا رئيسيا لهذه الإشكالية كما يلي: **كيف تساهم العولمة الثقافية في التأثيرعلى استدامة التنمية؟**

ويندرج تحته عدة أسئلة فرعية هي:

- هل للعولمة الثقافية دور في اغتراب قيم المجتمعات المحلية؟
- هل تجد العولمة الثقافية ممانعة حقيقية اتجاه غزوها المستمر على المجتمعات المحلية؟
- هل يمكن إعطاء مفهوم للعولمة الثقافية المستدامة من خلال تشابك مفهوم الثقافة والعولمة والاستدامة؟

2.1 فرضيات البحث:

كإجابة أولية على أسئلة الدراسة نطرح الفرضية التالية:

الفرضية الرئيسية: "إن للعولمة الثقافية تأثيرات هامة على استدامة التنمية وجودة الحياة".

3.1 أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من قيمته الفكرية، التي تنبثق من تحليل الأبعاد الأساسية للعولمة الثقافية، وتأثيرها على الاستدامة كمفهوم يشمل عدة نواحي، خاصة الجانب التنموي، ولذلك ليس من السهل من الناحية الفكرية تقديم رؤيا مغايرة حول موضوع يتسم بالمرونة والتحول، والتحرك مع الأوجه الفلسفية وهو في مواجهة مستمرة مع الإيديولوجيات، والنزعات الطيفية المعقدة المرتبطة بجودة حياة المجتمعات الإنسانية.

4.1 أهداف البحث:

يهدف هذا البحث الى محاولة الاقتراب من مفهوم العولمة الثقافية، وبمنظار المحلل والناقد والمحاور، لفهم حقيقة الخصومة مع مفهوم الاستدامة في بعدها الثقافي والاقتصادي، ولذلك سوف نحاول تقديم تصورات حول المقاربة التوافقية للمفاهيم المتشابكة والتي يصعب تحديد مجالات التوافق والاختلاف، ودوائر التأثير والتأثر، خاصة فيما يتعلق بالمفاهيم الثلاثة محل البحث(العولمة والثقافة والاستدامة)، بقصد المساهمة في كشف أخطار العولمة الثقافة، وتعزيز مفاهيم حماية البيئة ضمن متطلبات الاستدامة، وسوف نحاول عدم التقيد بمرحلة زمنية محددة في التحليل، بل سوف نراعي شمولية الموضوع وجدلية الطرح، اعتمادا على وصف مفاصل البحث

بالاستعانة ببعض ما كتب ونوقش وسطر في الأبحاث المختلفة، بالتحليل والنقد والتلخيص وإبداء الرأي الشخصي.

5.1 هيكل البحث:

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام

- متاهات وتجليات العولمة الثقافية
- حتميات الاستدامة في ظل العولمة الثقافية
- صدام العولمة الثقافية مع الاستدامة (زهرة الثقافة المستدامة)

2. متاهات وتجليات العولمة الثقافية

1.2 في مفهوم الثقافة:

بعيدا عن تتبع الدلالات اللغوية، والنقد الفلسفي لمفهوم الثقافة، سوف نحاول الانطلاق من علمية الثقافة، باعتبارها صناعة تجاوزت المناقشات القيمة والسلوك العام، وانتقلت بهما الى خصوصية المعرفة، وبل اتحدت معها ليتولد عن ذلك الثقافة المبنية على المعرفة والحكمة الرصينة، وبذلك يمكن استغلالها في مواجهة التحديات والأزمات الأخلاقية والسلوكية والبيئية، وبناء الحضارات وتأصيل القيم ودمجها في النشاط الإنساني، وبل أصبحت الثقافة محور تلاقي عدة علوم، بحيث لا يمكن أن تثني سعي الإنسان في نهضته التنموية، وعلى الرغم من صعوبة ضبط تعريف محدد للثقافة لمرونة مادتها وطبيعتها الفلسفية، وقد أعجبني تعريف أحد الكتاب المفكرين(محمد بن عبد الكريم الجزائري،،ص22)،حيث "اعتبرها ملكة في العلم ،وإتقان في العمل"، وقد أجاد وأفاد عندما انطلق بها من العلم ليحترز من التقليد وفساد الرأي، واستقر بها في السلوك المتقن، لاستبعاد الكسل والخمول ، ألذان هما مصدر كل الشرور، وما يهمنا في هذا المقام ما يتعلق بالجانب التنموي والاقتصادي بالدرجة الأولى، ولذلك يتفق كثير من المفكرين الاقتصاديين أمثال(ماكس ويبرMax wiberK،1958، ماك ليلاند1961 ، Mc lellend، ودوتش Deutch،1974)، على أن العوامل الثقافية من أهم العناصر المؤثرة في التنمية الاقتصادية، باعتبار أن الدوافع والقيم والاتجاهات هي عناصر ثقافية تؤثر على معدلات النمو ومستوى التطور، ويجزم(دوتش)، على أن القيم الثقافية هي المسؤولة عن نجاح التنمية الاقتصادية (عبد الحفيظ مقدم،1992،ص18)

2.2 في فلسفة العولمة الثقافية (اغتراب القيم، أم تغيير ثقافي؟)

تحدث جون توملنسون(John tomlison) قائلا عن العلاقة بين العولمة والثقافة" ان العولمة ترتبط بقلب الثقافة الحديثة،كما ترتبط الممارسة الثقافية بقلب العولمة"(عبد القادر تومي،2011،ص78).

وبهذا لا يمكن إنكار التأثير الكبير للعولمة على الثقافة، في غزو المفاهيم وتدافع الأفكار، مما ساهم في انصهار المفهومين ،وأصبحت العولمة الثقافية حتمية لا مفر منها، هذا الواقع خلق مشكلة عميقة في أصل الهويات الثقافية لكثير من المجتمعات، حيث أثرت بشكل كبير في أنماط الحياة، وساهمت في تلاشي القيم المحلية، مما جعل الأفراد والجماعات تشعر باغتراب شديد في واقعها المعيش، مما اثر على السلوك وقلل من التفاعل فيما بينها، الأمر الذي خلق ردود فعل سلبية ومعاكسة، أفرزت عدة تناقضات، خاصة في النشاط الاقتصادي في بعدها المرتبط بالاستدامة.

للوهلة الأولى وفي ظاهر الأمر يبدو ألا تناقض بين الثقافة والعولمة، إذا أريد بها تعزيز مسار الحضارة الإنسانية، ولكن المقتفي لأثرهما يتيقن بما لا يدعو الى أدنى شك، أن هناك مؤامرات قد حيكت خيوطها بدقة للسيطرة على واقع الشعوب، وما يحدث اليوم من أزمات اجتماعية وأخلاقية ومالية في مجتمعاتنا التي كانت محافظة بالأمس القريب، إلا دليل على صحة هذا التبصر.

وفي خضم هذا الطرح، لا يمكن استبعاد حضور الأجيال القادمة في هذا المشهد ، باعتبارها الوريث الشرعي لقيم ومقدرات الأمم والمجتمعات، كما ساعدت العولمة الثقافية في موت المسافات(عبد السلام ابو قحف،2005،ص14)، مما خلق مشكلة عويصة بخصوص نسبها الى الفطرة السليمة، ولذلك لا يمكن استبعاد موت المسافات، الفاصلة بين ثقافة الشعوب المتجاورة وغير متجاورة، وفي ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال، زادت هذه المسافات في التقلص بشكل رهيب، حتى أصبح الفرد المتعلم وغير متعلم يعيش الحدث العالمي لحظة بلحظة، وهذا الأمر غذى بشكل مباشر تغول العولمة الثقافية، وراحت تعبث بالأذواق السليمة والقيم الإنسانية، وشوهت بعض السلوكيات والعلاقات المجتمعية، مما ساهم في بناء نسق اجتماعي أعرج للأجيال الحاضرة.

ومن المجحف تقزيم العلاقة القائمة بين المفهوم الثقافي وحركية العولمة، ومن المجازفة أيضا اعتبار الثقافة كأحد المؤشرات القوية للعولمة، هذا على حد تعبير عالم الاجتماع السيد ياسين

(باتر محمد علي وردم،2003، ص23)، ولذلك ركز في تحليله للعولمة على تداخل ثلاث عمليات معقدة، ترتبط **الأولى** بالانتشار المذهل للمعلومات دون قيود، **والثانية** تتعلق بذوبان الحدود بين الأمم، **والثالثة** تؤكد على خطورة استمرار اندماج الشعوب والمؤسسات وانصهارها في بوتقة واحدة.

3.2 في مواجهة تحديات العولمة الثقافية (محاكمة العولمة):

إن ما يفسر تناقضات العولمة كمفهوم مركب له العديد من الآثار والتبعات، وهي تشكل بآلياتها أحد التحديات الكبرى بالنسبة لمجتمعات المتأخرة في التنمية، وعلى أحد طرفي النقيض تشكل قوة ايجابية (علا محمد الخواجه،2006،ص409).

وبالرجوع الى أثر العولمة الثقافة على الاقتصاد، لا يمكن أن نتجاهل فكرة تصادم الأسواق، بعيدا عن القيم الحضارية والإنسانية، وبكل أسف أصبح من الصعب محاكمة هذه العولمة، التي شوهت أنماط الاستهلاك وغيرت من أساليب الإنتاج، وأبعدت المنافسة العادلة، وكرست روح الجشع، وأسست لمفهوم مشين لها، دفع بها في ظل الاغتراب الى محاربة مقدرات وقيم المجتمعات المحلية، ولإنصاف العولمة الثقافية يجب أن نشير إلى براءة العلم والتكنولوجيا من هذه الهجمات، وبل يجب أن نتهم مراكزها الإيديولوجية المعروفة في الغرب والشرق ،وإضافة الى ذلك انه من السهل كشف الأوراق الرابحة للعولمة الثقافية، ولكنه من الصعب مواجهة تحدياتها، والوقوف في طريقها، لا لشيء إلا أننا فرحنا من البداية بقدومها، وثقنا في خيوطها، حتى أصبح قادتهم يتآمرون ويضحكون علينا، وفي غالب الأمر يتاجرون بآملنا وأحلامنا، مما أسر مستقبل الأجيال القادمة.

ومنذ فترة ليست ببعيدة، ومن خلال ما نراه بأم أعيننا، من تغيير سلوك الناس من جراء تداخل الثقافات، وتداعيات العولمة المتسارعة، أصبحت المجتمعات تستشعر الخطر الداهم بخصوص حلحلة مفاصل المجتمع، مما جعلها تدق ناقوس الخطر، لأجل زيادة الوعي بخصوص حماية ارثها وتراثها ومقدرات أجيالها الحالية والمستقبلية، فعمدت بعض الدول إلى تعديل المناهج التربوية والتعليمية، وبناء نماذج قوية للمواجهة زحفها، وأصبح الفرد الطرف الأساسي في هذه المعادلة المعقدة، مما استوجب اعادة تثقيف الأفراد وإعادة بناء فكره ووعيه، وهذا ما اشار إليه المفكر مالك بن نبي عندما ركز على أهمية الثقافة في بناء المجتمعات، وبل شبهها بالدم الذي يسري في الجسم (سلمان بونعمان،2012،ص166).

وعلى الرغم من صعوبة مواجهة العولمة الثقافية، إلا أن بعض المجتمعات الذكية استطاعت كبح جماحها_ النموذج الياباني كأحسن دليل على ذلك_ حيث شكل عنصر الثقافة المنبثقة من خصوصية مجتمعها عنصر الحسم في عملية الإقلاع الحضاري، خاصة في مجال التكنولوجيا، فلقد واجه الإنسان الياباني عواصف العولمة الغربية بقوة ذاتية وعزيمة جماعية، دون إهمال للجذور الفكرية والمنطلقات الفلسفية لمجتمعاتها المحلية، ومما لاشك فيه أن إعادة تنظيم المجتمع، وفق مبادئ ثقافية محفزة تقدر إمكانيات الأفراد وطاقاتهم، وتحفظ عزتهم وكرامتهم، هو من أسلم الطرق لمواجهة التحديات الراهنة.

والمتعمق في فلسفة الدراسات الاقتصادية، يتبين له بالدليل الجلي، أن موضوع التغيرات الاقتصادية عبر محور الحركة التنموية، ترتبط في جوهرها بالتغيرات الحضارية، المستندة الى القيم والأذواق، والأخلاق المنبثقة من إرادة الإنسان، وفق فهمه لواقعه المعيش، ومن منطلق وعيه بضرورة تعديل سلوكه، لمواجهة المشكلات المعقدة، سيما قضية استدامة التنمية ومواردها،وبناء عليه فإن فلسفة علم الاقتصاد تقوم على فهم القيم الحضارية التي تأخذ بعين الاعتبار قيمة الإنسان وذاته، واعتبارها القيمة الاقتصادية الأولى، بشرط ارتباط إرادته بالإرادة الحضارية(مالك بن نبي،2012،ص64).

ومرة أخرى يربط مالك بن نبي التغيير الثقافي، باستدامة التنمية في جانبها الفكري (الأخلاق، السلوك، الأذواق، والجمال)، وفي جانبها المادي بالإمكان الحضاري، ويقر بأن الإرادة الحضارية تسبق الإمكان الحضاري، مما يجعل من هذه الفكرة القوية، تدحض الماركسية العقيمة (البشير قلاتي،2007، ص337)، والأدلة في هذا المجال كثيرة (ألمانيا نموذجا بعد الحرب العالمية الثانية).

وفي نفس السياق، ليس من العجيب أن يشير كثير من المفكرين الاقتصاديين الى أهمية القيم الأخلاقية في إدارة التغيير الثقافي نحو الاتجاهات الايجابية، والتي من شأنها إحداث هزات قوية في مجال استدامة التنمية، على اعتبار أن القيم والسلوك، تتحكمان بشكل كبير في السلوكيات الايجابية(قيمة حماية البيئة ومقدراتها مثلا)، وهذا ما قد أشار إليه المفكر الاقتصادي الهندي امرتيان سان(Amartya sen)، في مقال بعنوان: المغفلون العقلاء، حيث يعتبر الإنسان مختلف عن أنواع السلوك، بما في ذلك السلوك الاقتصادي، وقد يكون من أهم بواعثه، الشعور بالالتزام نحو السلوك السوي، وبل يعد واجبا أخلاقيا(جلال أمين،2008،ص81).

1.3.2 الفرص الكامنة في العولمة الثقافية (حسنات العولمة الثقافية):

لقد ساهم الانفتاح المعلوماتي، والتطور التكنولوجي في مجال الرقمنة بشكل كبير في تسريع وتيرة تقارب الشعوب، وزيادة الوعي بالمشكلات الدولية على غرار التلوث البيئي والحروب والفقر وغيرها، وهي تتعلق باستدامة التنمية في المجتمعات الإنسانية، هذا الانفتاح عزز من وسائل الحماية والتقارب وسبل مواجهة المشكلات المتعلقة بمستقبل الاجيال القادمة،

2.3.2 التهديدات المنبثقة من العولمة الثقافية (سيئات العولمة الثقافية):

عند الإشارة الى أثار ارتباط العولمة بالثقافة، سوف يفضي بنا الأمر الى مفارقة عجيبة، هي إمكانية انصهار القيم والرغبات الإنسانية المهاجرة من كل حدب وصوب، هذا الأمر يشكل العقبة الرئيسية في استدامة الثقافة في المجتمعات المحلية، مما يكشف الخلاف الإيديولوجي، وقد يتستر عن التوافق الايكولوجي، مما يسرع من التدفق الثقافي بين الشعوب، وهذا أمر في غاية الخطورة لانعكاس ذلك على شخصية الآخر وإلغاءها ضمن مسيرة الأجيال.

وتشير التقارير الدولية بخصوص التهديدات المعقدة على واقع الشعوب، نتيجة هبوب رياح العولمة الثقافية، فقد تفاقمت ظاهرة الفقر عدة مرات، خاصة عند الدول الفقيرة، وتدهورت الصحة الإنسانية بشكل ملفت للانتباه، وتقلصت الوظائف، وتغيرت أنماط الإنتاج والاستهلاك وأصبحت غير مستدامة، فبالأمس القريب كانت المجتمعات المحلية تعيش بأساليب نظيفة وصديقة للبيئة، وكانت تعمل على حماية مواردها من التدهور والنضوب، غير أن زحف العولمة الثقافية شوهت هذا المنظر برمته، وسلبت الاستدامة من الحياة الإنسانية،(عدم رقابة السلع والمنتجات، وفرض القيود عليها زاد من حدة تغول العولمة الثقافية في جانبها الاقتصادي).فقد اقترنت عولمة الأسواق بعولمة الثقافة، وساهمت الانجازات التكنولوجية الكبرى في تدمير جزء من مقدرات الأجيال(إيمان عطية ناصف،2008،ص311)، والى جانب ذلك، فقد ساعدت هذه الأخيرة، في نقل المنتجات غير صديقة للبيئة، عبر منافذ التجارة الدولية الى الدول المستهلكة، التي أزمت من واقعها وكرست مزيدا من التبعية، في ظل الرأسمالية المتوحشة.

ومن سلبيات العولمة الثقافية أيضا، هو التأثير الكبير على هوية الأفراد والجماعات، في إطار الترويج الايديولوجي والغزو الثقافي، لأجل فرض منطق الغالب على المغلوب، وتحطيم روح المقاومة وإضعاف إرادتها (كلاوس موللر،2010، ص12)، ومما يعزز هذا الطرح، ما صرح به صاحب كتاب صدام الحضارات (صمويل هنتنجتون)، بخصوص صعوبة الذوبان في الثقافات

الغربية حيث قال: رغم الغزو الثقافي الغربي، إلا أنه لا يمكن أن تدخل الشعوب في النسيج الحضاري الغربي، لاختلاف الحضارة الغربية عن غيرها في القيم والعادات والتقاليد).

ولا تزال المخاوف تتوالى من مفكريها المؤيدين لها، أكثر من معارضيها، حيث أعتبر (بيتر سوذرلاند petre sutherland) ، رئيس مجلس إدارة(British petroleum)، أن العولمة أكبر مشكل يواجه الجنس البشري، في الوقت الحاضر، نتيجة الاستغلال الجائر للدول العظمى لغيرها من الدول التابعة، والسيطرة على الأسواق الاستهلاكية، أكبر دليل على ذلك (عبد الحي زلوم،1999،ص21)، ويمكن الإشارة إلى تهديدين أساسيين هما:

أولا.نفوذ الأموال: من خلال انتشار الشركات المتعددة الجنسيات(الاستثمار الأجنبي المباشر وغير مباشر)، وهو يؤثر في تدفق رؤوس الأموال في الأسواق الدولية، خاصة عند الدول الكبرى المسيطرة على الاقتصاد العالمي(الولايات المتحدة الأمريكية، أوربا ،اليابان ، الصين...)، وسهلت التكاملات والاندماجات الدولية من سرعة هذه التدفقات، وتزيد حركة التدفق من الدول الصاعدة الى الدول المتطورة عبر المؤسسات المالية الدولية، ومؤسسات الاستثمار المالي الكبرى،(البورصات العالمية)، وبذلك شكلت العولمة المالية عدة مخاطر، خاصة الأزمات المالية واقتصادية في الأسواق الناشئة (ضياء مجيد الموسوي،2013،ص37.17.)، نتيجة لذلك اعتبر كثير من المفكرين الاقتصاديين الاندماج المالي كأحد المخاطر التي تهدد النمو الاقتصادي(العولمة المالية ليست رصاصة سحرية تحفز النمو؟).

ثانيا.نفوذ الإعلام: في هذا العصر الرقمي تبذل جهود كبيرة، لكي يتخذ العالم صورة واحدة، ولا شك أن المحصلة النهائية لمثل هذا التطور سوف تكون مرتبطة كثيرا بالمجال الثقافي(هانس بيتر مان، هارلد شومان،ص51)، حيث تنبأ المفكر الكندي مارشال ماك لوهان Marechall Mc) (luhan، بأن العالم سوف يغدو قرية كونية متشابهة(Globale village)، تنمو بشكل غير منسجم مما يساهم في تعقيد المشكلات المتعلقة بحماية البيئة، ويمكن الإشارة في هذا المقام، الى أن هناك أكثر من خمسمائة قمر صناعي تدور حول الأرض، ترسل مليارات الأخبار والصور الى كل أنحاء العالم، حيث أصبح الجميع له الحق في المشاركة في اختيار أنماط الحياة المناسبة.

3.حتميات الاستدامة في ظل العولمة الثقافية

يشير بعض المفكرين في مجال الاقتصاد والبيئة، الى أن تحويل الأفكار الجيدة، الى أساليب عملية شائعة بين الناس يحتاج الى جيل كامل(كاري كروسينكي،وآخرون،2011،ص51)، وفي حالة

الاستدامة ومنذ عدة عقود، لا يزال هذا المفهوم يتصارع مع الواقع الفكري المتناقض مع المبادئ الإيديولوجية للنظام الاقتصادي المتبع، وهدا ما أثر على واقع الشعوب ومقدرات الأجيال القادمة، حيث يقول أرنست فون(Ernst von)،"رغم التقدم الذي تم إحرازه، إلا أن أسعار السوق لا تزال بعيدة عن قول الحقيقة الايكولوجية".

1.3 حتمية معرفة القيود الايكولوجية:

إن من أكبر الصعوبات في مواجهة التحديات البيئية، انما تتعلق بالفشل المتعلق بنظام الحوافز (Incentive)، ونظام الاختيارات (Choises)، المتعلقة بالمؤسسات الملوثة والأفراد المستهلكين الذين يمارسون الضغط على البيئة، (محمد صالح تركي القريشي،2013، ص51)، وهذا نتيجة عدم التحكم في التكنولوجيا المتعلقة بحماية البيئة، خاصة تكنولوجيا الإنتاج الأنظف، وتكنولوجيا الطاقات المستدامة.

2.3 حتمية معرفة الاحتياجات الأساسية:

من المؤكد أن الفهم الصحيح للحاجات الإنسانية، تؤدي الى صناعة الحوافز الثقافية، وبتغيير الحاجات الأساسية التي يحتاجها المجتمع، تتغير تبعا لذلك الثقافات وتتبدل الاتجاهات وبعض القيم الحضارية التى تسود هذه المجتمعات، وهذا باتجاه تحولات خاصة ذات طابع تكاملي بناء (محمد جواد أبو القاسمي،2008، ص166)، ويطلق على تلبية الحاجات في هذا المجال بالثقافة المرضية (إرضاء الأفراد عن طريق إشباع الحاجات).

3.3 حتمية معرفة كيفية التحول الى أخلاقيات حماية البيئة (استملاك أم استهلاك؟):

من الصعب كشف نقاط التشابك بين العولمة والثقافة والاستدامة، إلا أن منظومة القيم الأخلاقية في هذا المجال تعد الجسر القوي الذي يربط بين تناقضات هذه المفاهيم الثلاث، ويجعل من الحياة أكثر جودة واقل تدهورا، وأقوى استدامة، ورغم الإخفاقات الحادة للعولمة الثقافية، بخصوص تدمير القيم الحضارية، وتغيير التقاليد وزعزعت العقائد، وتشويه أنماط الاستهلاك، إلا أنها تجمح وتنحصر أمام أخلاقيات حماية البيئة المرتبطة بالقيم المستنيرة، التي تعد الحل القوي لمواجهة تغول العولمة الثقافية على الاستدامة الاقتصادية، ومما لاشك فيه أنها سوف تفشل الرأسمالية المتوحشة التي تحمل بذور الفساد البيئي والأخلاقي، اذا ما استمرت بنفس الممارسات والآليات ذات المليئة بالأنانية.

وعليه تعد الاقتراحات، التي تنادي بضرورة دمج الاعتبارات الأخلاقية في الممارسات الاقتصادية، أمرا مهما في مواجهة التحديات القائمة، وهذا ما أشار إليه امارتيان سان (Sen)، واعتبرها دليل قوي في مواجهة وحل المشكلات البيئية المرتبطة باستدامة الموارد، وهذا ما أكده كذلك الفريد مارشال في كتاباته الشهيرة، حيث أقر بخطورة إقصاء القضايا الأخلاقية المهمة، عن المسائل الاقتصادية التي ترتبط بحياة الناس العملية في كل الأوقات (ثيموثي تايلور،2014، ص38).

4.3 حتمية التحول الى الثقافة المستدامة (زهرة الثقافة المستدامة؟):

من المهم إعادة النظر في العلاقة القائمة بين المؤسسات والأفراد، وتغيير النظرة باتجاه البيئة التي نعيش فيها، فبالنسبة للمؤسسة يجب أن تلجأ الى مدخل الأعمال المتنورة، حيث تلتزم بالتحسين المستمر (Enlightened business)، والجودة البيئية، في إطار المسؤولية الأخلاقية، كما يجب عليها أن تركز على الوظائف المستدامة، والاستجابة للوائح البيئية، والعمل على المستوى الاستراتيجي لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة (نجم عبدو نجم،2012،ص169)، كما يمكن أن تبادر في تبني أساليب الإنتاج الأنظف والصديق للبيئة، من خلال استخدام موارد نظيفة وأقل تلويثا، والسهر على تدريب فرق العمل والتسيير، وتثقيفهم بخصوص القضايا البيئية.

أما فيما يخص الأفراد فلا بد من التشجيع على الثقافة الاستهلاكية الخضراء، وإعطاء فرصة أكبر للمنتجات الصديقة للبيئة، على الظهور في الأسواق المحلية، وفي نفس السياق يؤكد دونالدسون ((T. donaldson)، على أهمية احترام القيم الإنسانية الجوهرية، والتي تحدد المعايير الأخلاقية، وكذا احترام التقاليد المحلية (نجم عبدو نجم،2012، ص384)

وتعد في هذا المجال فكرة زهرة الثقافة المستدامة لصاحبها (ديفيد هوليمرجين)، من أحسن الأفكار التي تربط بين الثقافة والاستدامة، فهي تؤسس لوعي حقيقي ومستدام بخصوص مواجهة التحديات والمشكلات المرتبطة بحماية البيئة والمتقاطعة مع حركة العولمة الثقافية في عدة مجالات.

حيث تنطلق رحلة الثقافة المستدامة من مركز الزهرة بالمبادئ والقيم والأخلاق والتصميم فهي بمثابة القلم الذي يتحرك بشكل حلزوني ليرسم كل بتلاتها، تعبيرا عن المجالات الرئيسية التي تشكل أسسها القوية، ابتدءا من المستوى الفردي والجماعي وصولا الى المستوى المحلي والعالمي (موللي سكوت كاتو، 2010، ص82). والشكل الموالي يوضح ذلك:

الشكل1:زهرة الثقافة المستدامة

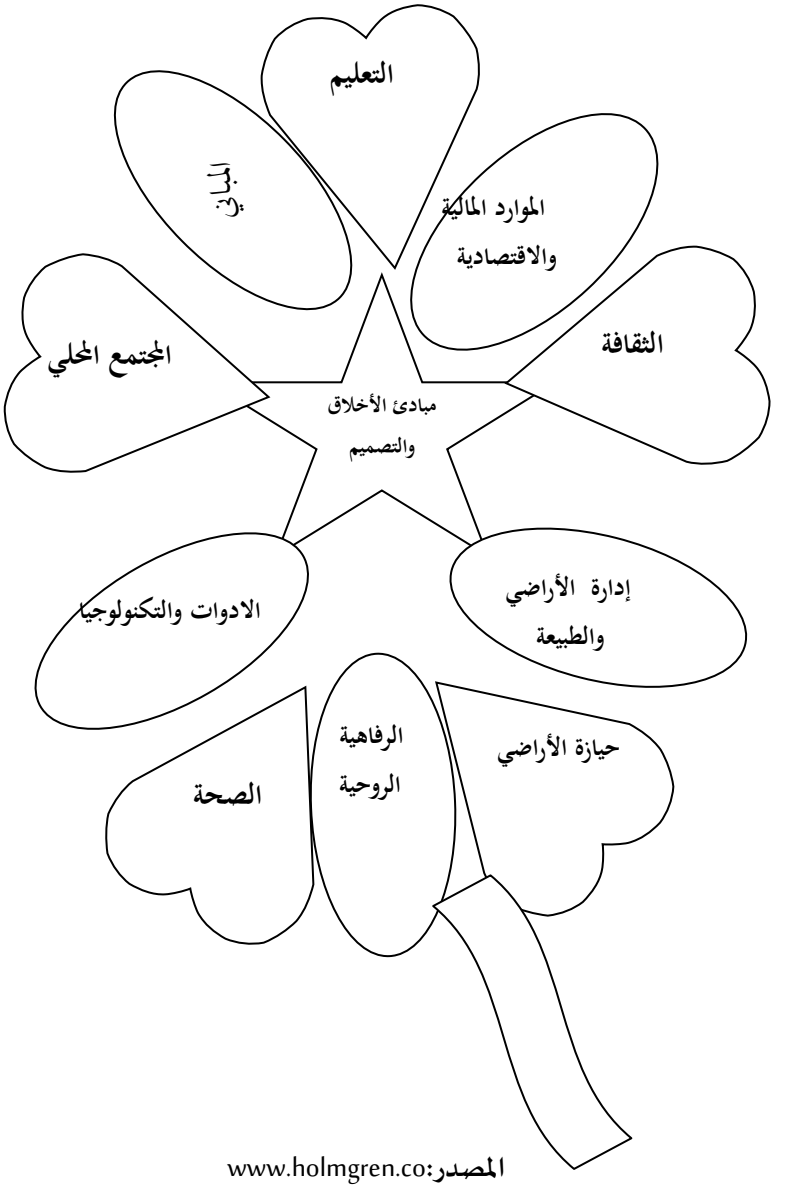

المصدر:www.holmgren.co

4. خاتمة

لا شك أن موضوع العولمة الثقافية، يكتسي أهمية بالغة خاصة إذا تعلق الأمر بتأثيرها على استدامة التنمية، وفي الحقيقة لقد تشكل هذا البحث من عدة مقاربات ومفارقات حاول الباحث جمعها والتعليق عليها بما يراه مناسب في هذا المقام ،ونظرا لصعوبة كشف حقيقة العلاقة القائمة بين العولمة الثقافية والاستدامة بشكل واضح، تم التركيز على سيئات العولمة الثقافية وتداعياتها على البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وأشار الى حسناتها لإبراز الدور الايجابي والجهود التي بذلت في سبيل ترسيخ مبادئ الاستدامة وجودة الحياة، ومن خلال حركتها المعقدة، تم كشف خطورتها على هوية المجتمع واغتراب قيمه، وسبر الآراء المتعلقة بممانعته ، وهذا لأجل توضيح الصدام والموافقة التي قد تحصل بين هذين المفهومين.

وربما ابسط المقاربات لفهم ظاهرة العولمة الثقافية في سياقها التاريخي، إنما يرتبط بأبعاد التنمية المستدامة الرئيسية، ويتحدد بمجالات تأثيرها في هذه الأبعاد، السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

بالنسبة **للبعد السياسي**، يمكن التركيز على النزعة الإيديولوجية وخطورتها في السيطرة على مصير وقرارات الشعوب بخصوص اختيار النموذج التنموي المناسب لها، أما بالنسبة **للبعد الاجتماعي** فتشكل تدافع الثقافات مجال وحلبة لصراع القيم، فلا يمكن أن تصمد الثقافات الضعيفة، أمام الثقافات القوية فالمنتصر دائما ينتقل ويهاجم أولا، أما في **البعد الاقتصادي** فيمكن الإشارة الى دور الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات الدولية التي تتحكم في الاقتصاد العالمي من خلال منافذ العولمة الاقتصادية وتكنولوجيا المعرفة العلمية.

تحليل النتائج المتوصل إليها:

أولا: تكمن خطورة العولمة الثقافية في مساعدتها على توفير فرص إعادة تشكيل الهويات المحلية، بطريقة مستقلة عن الموروث الثقافي التقليدي للمجتمعات، وإمكانية ظهور هويات عالمية غربية، تكون في كثير من الأحيان مشوهة، وتساهم في اغتراب القيم (إضعاف المحلي وتقوية الوافد).

ثانيا: ترتبط العولمة الثقافية بالايدولوجيا المتوحشة، التي صاحبها انتقال لرؤوس الأموال والقيم والأعراف بشكل فوضوي، شكل عجزا كبيرا أمام الدول، في مواجهتها والحد من تغولها.

ثالثا: هناك فشل واضح في إدارة العولمة الثقافية، حيث ظهر تدافع صريح بين مكتسباتها ومخاطرها، مما قلل من مضمونها، بخصوص استدامتها (العولمة الثقافية لا يمكن أن تكون صديقة للبيئة).

رابعا: إن سقوط الحواجز الثقافية بين الشعوب، ساهم في تكريس التبعية والقابلية للاغتراب الزماني والمكاني (تآكل الثقافات المحلية، على حد تعبير "**كارلوس شواب**" مؤسس المنتدى الاقتصادي العالمي سنة1999).

خامسا: لم تنجح العولمة الثقافية، في التوفيق بين القيم التي تسير حياة الناس، والقيم التي تحرك السوق، مما انعكس سلبا على استيعاب مفاهيم الاستدامة لدى المجتمعات.

الاقتراحات:

أولا: لا مجال للتهور بخصوص مستقبل الأجيال القادمة، وبل هي نتيجة الأجيال الحاضرة، ولذلك نقترح إعادة بناء **منظومة تعليمية** متكاملة ومنسجمة مع التوجهات العالمية، ووفية للهويات والقيم المحلية، وهذا من خلا وضع برامج تعليمية ذات طابع استراتيجي ووفق رؤيا واضحة، وأهداف دقيقة ومحددة بدقة، لأجل مواجهة الرياح العاتية للعولمة الثقافية.

ثانيا: لا بد من التوجه السريع الى اقتصاد المعرفة، والاستفادة من **التطور التكنولوجي** في مجال الإعلام والاتصال، فهما الوسيلة الناجعة لمواجهة التحديات الرقمية، والتحولات الاجتماعية.

ثالثا: تبني مفاهيم **أخلاقيات الأعمال** في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وبدون ذلك سوف يفقد المجتمع بوصلته الرئيسية، في تحديد الاتجاهات السليمة لبناء أجيال تعتز بتاريخها وموروثها وأمتها ودينها.

5.قائمة المراجع

المؤلفات:

- البشير قلاتي، هكذا تكلم مالك بن نبي(نحو منهج رشيد للتغيير الثقافي والبعث الحضاري)، منشورات مكتبة اقرأ،الجزائر،2007.
- ايمان عطية ناصف، مبادئ اقتصاديات الموارد والبيئة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية،2008.
- أمين جلال، فلسفة علم الاقتصاد (بحث في تحيزات الاقتصاديين وفي الأسس غير علمية لعلم الاقتصاد)، دار الشروق،2008.

- باتر علي وردم، العالم ليس للبيع(مخاطر العولمة على التنمية المستدامة)،دار الأهلية للنشر والتوزيع،2003.
- ضياء مجيد الموسوي، عولمة أسواق المال، ديوان المطبوعات الجامعية،2013.
- كاري كروسينكي،وآخرون، الاستثمار المستدام(فن الأداء طويل الأمد)،ترجمة: أحمد علاء صلاح، مجموعة النيل العربية، القاهرة،2011.
- كلاوس موللر، العولمة، ترجمة: محمد أبو قحف خالد، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2010.
- محمد صالح تركي القريشي، مقدمة في علم اقتصاد البيئة، دار اثراء للنشر والتوزيع، الاردن،2013
- محمد بن عبد الكريم الجزائري، الثقافة ومآسي رجالها، شركة الشهاب، الجزائر، بدون سنة.
- موللي سكوت كاتو، الاقتصاد الاخضر (مقدمة في النظرية والسياسة والتطبيق)، ترجمة: علاء أحمد، مجموعة النيل العربية، مصر،2010.
- عبد السلام أبو قحف، إدارة الأعمال الدولية، الدار الجامعية، مصر،2005.
- محمد جواد القاسمي، نظرية الثقافة، ترجمة: حيدر نجف، مكتبة مؤمن قريشي، بيروت2008.
- نجم عبدو نجم، المسؤولية البيئية في منظمات الأعمال، الوراق للنشر والتوزيع، عمان،2012.
- عبد الحي زلوم، نذر العولمة (هل بوسع العالم أن يقول للرأسمالية لا)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن،1999.
- عبد القادر تومي، الأسس الفلسفية للعولمة الاقتصادية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.
- سلمان بونعمان، التجربة اليابانية (دراسة في أسس النموذج النهضوي)، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،2012.

- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة (المسلم في عالم الاقتصاد)، دار الوعي، الجزائر،2012.

الملتقيات

- عبد الحفيظ مقدم، المؤثرات الثقافية على التسيير والتنمية، مقالة مقدمة ضمن أعمال الملتقى الدولي المنعقد في الجزائر،30،28، نوفمبر1992، جامعة الجزائر.
- الموسوعات
- علا محمد الخواجة، العولمة والتنمية المستدامة، الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة في الوطن العربي، المجلد الأول،2006.
- المجلات العلمية
- هانس بيترمارتن، هارلد شومان، فخ العولمة، ترجمة: عدنان عباس علي، مجلة عالم المعرفة، العدد238،
- تيموثي تايلور، الاقتصاد والأخلاق، مجلة التمويل والتنمية، يونيو،2014.